سـلـيمان العيسى

فى ديوانه « مع الفجر »

للأستاذ أحمد الفخرى

تتمة

ليس بإمكان النفس المطمئنة أن تستريح والزمن يمضى سريعا ، والجديدان كل يوم فى شان ، فما بالك بالشاب العربى الجريح ، الذى ينتظر بحماس نافد الصبر يوماً يمسح بعزته ذلة كلومه فلا تزيده الأيام إلا كلوما . . . والذى يترقب ، فارغ الصبر نشيد الحرية والنجاة فلا يسمع إلا نشيد الوهن والخيبة والهزيمة . . . ويل لهذا النفس المفؤود . . . إذا هو أغمض عينيه هزمت عنهما الرقاد ذكريات المآسى ، وإن هو منحهما فلا يلمح فيهما إلا ما يحز قلبه وينكأ جراحه

أين ألقيت ناظرى تلق نصل ... ميت يحتل صدر بلادى

* * *

وطن الضاد . . ياشهيد الأفاعى ... كل يوم جريمة واعتداء . .

ويل لهذا الشاعر المسكين . . ما الذى يمتدووه أن يفعله لهذا الوطن المسكين ...

ما الذى يستطيع إنقاذه منـ ... ـك قصيد ودمعة خرساء ؟

إنه لا يملك إلا نفسه وإلا هذه الأمانى . . فلتهب رفافة ندية تروى هذا التفر تارة ، ولتعصف ملتهبة منتقمة تارة أخرى . . .

أ إذا ذبت كالندى لأروى ... كل شبر من قفرنا الظمآن ؟

أ إذا ما أفنيت فى ميعة العمر ... انتفاضاً على الأذى ، والهوان ؟

أ إذا ما أحرقت روحى لأهدى ... بسناها مسالك الأظمان ؟

هل يعود الربيع والطير يا روض ... هنىء وتغدو الحياة مل الجنان؟

* * *

ليتنى كنت فى يمين الليالى ... خنجراً . . ما لشفرتيه ارتواء !

ليتنى فى صميم كل فؤاد ... أضمر الغدر . . طعنة نجلاء !

* * *

ولكنها لا تزال أمنيات ... على أنها لو عاشت فى خيال شاعر غير عربى لحققها له زعماؤه ، فلنسأل زعماء العرب ، وهذا نصف قرن يصولون فيه ويجولون . . لنسألهم هل استطاعوا أن يحققوها ؟ أم فرطوا فيها وساعدوا على فقدانها ؟ ويل لأكثرهم من سخرية التاريخ ! وويل لهم من حساب هذه الأمة إذا انفجر بركانها . . آه يافلسطين

أوليت أمرك خادعين يمزقونك كيف شاؤوا . .
هم داؤك الفتاك لا البؤس الملح .. ولا الشقاء . .
بدمارك افترشوا النعيم وماج حولهم الثراء . .
بدم الجياع . . ودمعهم شيدت قصورهم الوضاء..
مهلا . . سينهتك الستار إذا تكلمت الدماء . .

* * *

ماذا ؟ أترتقبين خيراً من « جنانك » أو فلاحا !
يكفيك إغضاء على البلوى . . ويكفينا جراحا . .
عرفوا القيادة «منصباً» يعلى ..وتضليلا صراحا . .
وتجارة يتقاسمون بها دم الشعب الباحا . .
فى صدرهم . . يا أمتى — إن تشهرى يوماً سلاحا

* * *

قالوا : فلسطين فقلنا : دونها وخز القتاد . .
شرف العروبة لن يكون على الأذى سلس القياد
أصمت أبواق « العبيد » تصم آذان الجهاد ؟
وتهز بالخطب الشداد دعائم السبع الشداد ؟
وتصيح نافرة دماها للمعارك والجلاد
أين الجهاد ؟ وأين أبواق البطولة . . يابلادى.. .
لفظت فلسطين الحياة « ومجرموك » على الحياد
أو لم يزالوا «يلتمون» على الخيانة والفساد ؟ . .
أعلمت أين ممزقوك ومسلموك لكل عادى ؟

* * *

أجل ... هؤلاء الزعماء هم الذين مزقوا البلاد ، وأضاعوا فلسطين .. كما أضاعوا من قبلها لواء « الإسكندرونة » وإذا لم يزاحوا فستصبح البلاد العربية و «فى كل زاوية فلسطين مدنسة التراب » وإذا لم يحاسبوا

فد : خل اللواء فإنهم لن يخجلوا ... أن يجعلوا كل البلاد لواء

يا لهذا المسكين ... ويا لرفاقه الشبان الساكين ... ويا لهذه البلاد المسكينة ... أفلا تكفيها مخالب الغاشم المستمر ليتعاون الزعماء على تمزيقها ؟ مهلا أمتى مهلا .. فالنهاية لن تطول

ضمدى أمتى جراحك وامضى ... لك يوما ... مع (الحناة) لقاء
سيوافيك من خلال المنايا ... والأعاصير ... فجرك الوضاء ..

* * *

ويا وطنى :

قل « لصهيون » : دون أحلامك السو
داء عض الشجا ، ولسع القتاد
لم تهن مثلما ظننت على الصيـ ـاد يوما فريسة « الصياد »
لا يغرنك الهدوء على الغا ب وتطمعك هجمة الآساد
يعلم الناهلون من دمنا الهـ ـدور أن الثارات بالمرصاد

* * *

ويا شباب العرب :

قولوا « لسيدة البحار » الموج و« ظلها » من حاكميها
قولوا لها : ليس الخضم كما أرادته ... سكونا
إنى لألمح خلف صمت الموج إعصاراً دفينا
وزعازعاً ... قد تحطم الـ ربان يوماً والسفينا
إنى لألمح فى العبا ب تمرداً ... لا بل جنونا

* * *

ويا وطنى لا تخدعنك الفرحة البتراء .. ولا يغرنك الاستقلال إذا لم يكن شاملا ولم تتم فيه الوحدة : —

أبلغ الشام وهى مائجة الأفـ ـراح نشوى من خمرها التهادى
وأغانى « الجلاء » تلعب بالمو ج كما تشتهى ، وبالعواد
لم يحن بعد موعد العرس (فيحاء) ولا جر عاطر الأبراد ...
لا تقيمى الأعياد فالفرحة (البتراء) شوك فى جبهة الأعياد ...
أتغضين عن خميلتك الطر فـ أيبقى (الأسير) من غير فادى ؟
أتنسينا ؟ ولم ننس يوماً أننا نفر فكرة ، واعتقاد ؟
أتنامين عن (ضحيتك) البكر أهذا عهد الكرى والرقاد ؟
وطنى كل بقعة يتجلى فوق غيرانها محيا (الفناد)

* * *

هذا هو العربى الصميم ، وهذه هى الوطنية الصادقة التى إذا غشى عليها اليأس قبست من التاريخ الحى فى أعماقها ما يجلو الدجى ويزيح الظلام

أرأيت أحر من هذا الفؤاد ؟ أسمعت أروع من هذا الزئير ؟ هذا هو سليمان .. شعلة متأججة بالوطنية ، وشباب يتدفق حماسة ، وروح مرهف تدميه هذه المآسى والنكبات وفكر وقاد يرى ويدرك ، وخيال خلاق يتصور ويصور ، ولسان ماض أتته اللغة منقادة طيعة فصاغ بها تلك الآلام أناشيد دامية تهز الوتى ، وأنطق بها تلك الفواجع زفرات مشبوبة تلسع الجماد . ثم مضى يستوحى التاريخ العربى المجيد أسياده ويوقظ من نام كتابه ، حتى ماج ديوانه بالعباقرة والأبطال ، وزخر بالبناة الخالدين والقادة المراد . . . بعثهم فى أروع صورة ، وأنطقهم بأبلغ لسان :

لا تلمنى إذا بكيت على الما ضى ؛ على عزى ، على عنفوانى
أنا أحيى التاريخ فى كل ومضى من خيالى ، وخفقة من جنانى

ثم عاد يصور أقزام هذا العصر تصويراً دقيقاً شفافا أظهر ما أسن فى قرارتهم ، وبين ما احتقن فى أعماقهم من خور وطمع ، وجشع وجبن ، ثم عرج على الشعب المخدر يوقظه ويصور له هول مآسيه وجمال ماضيه تصويراً يستفز الجماد ويلهب الجليد

أتلمست نفساً أحر من هذا النفس ؟ وزفرة أطول من هذه الزفرة ؟ إنها الأمة حاضرها وماضيها . . لقد انصهرت فى عواطفه فصاغها آلاما وآمالا . . وسيظل يسقى من هذا المعين الذى فى فؤاده ، والذى لا ينضب . . وهل تنضب الأمة العربية إيحاء ؟

أما إنى — علم الله — لم أسمع مثل هذه الملحمة ، ولم تهزنى مثل تلكم الأناشيد .. وبقدر ما أنا معجب بها وبصاحبها أتألم له ولها . . وأتمنى لو تحققت آمالها لتتحقق آماله ليخف الألم ، وليسكرنا سليمان بأناشيد الشباب المرحة الخالدة : —

شعل الحب والصبا والرغاب ..
لست حرا . . لتعصفى بشبابى ...
إهدئى الآن . . واقذفى بركابى
فى الأعاصير ، فى لهاة العباب
أنا لو حقق الزمان طلابى ...
عشت وقفاً على العيون السود وأذبت الحياة فى عنقود ...

أحمد الفخرى